ورد فى كلام القديس بولس الرسول أن "تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضاً أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِى الْمَعْرِفَةِ وَفِى كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا **الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ**" (فى 1: 9, 10) تمييز الأمور هى موهبة الإفراز والتمييز, فعلاً هناك أمور متضاربة يقف أمامها الإنسان حائرًا, لا يعرف أين الصواب, ما الذى يرضى الله وما الذى لا يرضيه؟ هل إن استخدمت الشدة يغضب الله أم إن لم أستعملها يغضب الله!! هل أسلك بالرقة أم بالشدة فى موقف معين.. لا أعرف..

لكل أمر تحت السماء وقت

لذلك عالى الكاهن لما تهاون فى تأديب أولاده عندما كانوا يخطئون فى خيمة الاجتماع (انظر1صم 2: 22)؛ غضب منه الله جدًا وكُسرت رقبته وقال له أنت تكرم بنيك علىّ؛ وأماتهم كلهم. وأيضًا قال له الله سينقطع الكهنوت من بيتك إلى الأبد, وإن ظل أحد من بيتك ولم يمت سيشحذ لقمة الخبز... وبالفعل تحققت هذه النبوة عندما قتل شاول الملك كل الكهنة؛ بعدما أخذ داود النبى سيف جليات من خيمة الاجتماع.. (انظر1صم 2-4) إذًا طيبة عالى الكاهن مع أولاده أضاعته وأضاعتهم أيضًا "فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: هُوَذَا أَنَا فَاعِلٌ أَمْراً فِى إِسْرَائِيلَ كُلُّ مَنْ سَمِعَ بِهِ تَطِنُّ أُذُنَاهُ" (1صم 3: 11). حتى زوجة ابنه جاءتها آلام المخاض, عندما سمعت أن زوجها وأخيه ماتا وأن حميها كُسرت رقبته وأن تابوت العهد قد أُخذ (هذه أول مرة يؤخذ فيها تابوت العهد)؛ ماتت وهى تلد وأسمت ابنها إيخابود لأنه قد زال المجد عن إسرائيل... لو كان عالى الكاهن قد أخذ موقفًا حاسمًا لما حدث كل هذا, هذا مجرد مثل على أنه ليست الطيبة دائمًا هى التى تفرح الله وليست القسوة دائمًا هى التى تفرحه؛ ومن هنا تظهر أهمية موهبة الحكمة والإفراز والتمييز.

بعض التداريب لاقتناء الحكمة

* **الصلاة لأجل اقتنائها**

واضح فى كلام القديس بولس الرسول أنه يصلى لأجلهم ليقتنوا هذه الموهبة, وممكن أيضًا هم يصلون لأنفسهم ليقتنوها "وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ **فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللَّهِ** الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ" (يع 1: 5). لابد أن نطلب الحكمة بصفة عامة, ونطلبها فى موقف خاص يحتاج لإرشاد من الله.

* **الاقتداء بالقديسين**

أيضًا من الوسائل التى نقتنى بها الحكمة أن نقرأ فى سير القديسين ونتعلم من أسلوبهم ومنهجهم.

* **دور المرشد الروحى**

أيضًا من خلال الحوار مع مرشد روحى حكيم فهذا الحوار لا يضيع هباءً, بل يتعلم الشخص الحكمة ويتشربها ويزداد اقتناؤه لها "اسْأَل أَبَاكَ فَيُخْبِرَكَ" (تث 32: 7), "اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ... أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا" (عب 13: 7 ,17), [الذين بلا مرشد مثل أوراق الشجر يسقطون]. ولكن يقول القديسون كذلك [اختبر مرشدك؛ لئلا تكون قد ذهبت إلى مريض بدلاً من طبيب], فقد يكون هناك إنسان حكيم بينما مرشده غير حكيم؛ فيفقد ما كان لديه من حكمة بسبب المرشد, ومن الممكن أن يكون أحكم إن سلك وحده بممارسة سر التوبة والاعتراف فقط بدون هذا المرشد غير الحكيم فى إرشاده.. فعلاً المرشد مهم ولكن إن وُجد, أما إن لم يوجد؛ فيكفى سر الاعتراف.

"اِثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ... وَالْخَيْطُ الْمَثْلُوثُ لاَ يَنْقَطِعُ سَرِيعاً" (جا 4 : 9, 12)

فمن الممكن أيضًا أن يستشير الإنسان مَن حوله من المحبين؛ فمن يستشير ويأخذ عبرة من خبرات الآخرين يضيف إلى عمره أعمارًا. فمَن لا يسأل الشيوخ عن خبراتهم وتجاربهم يُقاس عمره بعدد سنينه هو فقط فإن كان عمره خمسة وعشرين عامًا مثلاً سيظل هكذا إن لم يستشر, أما إن استشار مرشد روحى سِنُه ستين سنةً مثلاً فقد أصبح عمره خمس وثمانين سنةً.

* **الخبرات الشخصية**

أيضًا عندما يستفيد الإنسان من أخطائه السابقة يقتنى الحكمة, مثلما قال القديس الأنبا أغاثون [إن ضميرى لا يتعبنى فى أمر واحد مرتين] أى إن عمل أمرًا وتعب ضميره بسببه؛ لا يفعله ثانيةً.. فيزداد حكمة من خبرته هو الشخصية على مدى الأيام. ومَن لا يستفيد من خبراته؛ سيظل طوال عمره دون أن يقتنى أى نوع من الحكمة. إذًا من ضمن عوامل اقتناء الحكمة هى أن يستفيد الإنسان من خبراته ومن خبرات الآخرين.

* **مجمعية الكنيسة**

من ضمن الأمور التى تعلن صوت الله فى وسط الكنيسة هى ألا يسلك الإنسان بحسب هواه الشخصى, بل يحاول أن يسمع صوت الله فى وسط الجماعة. مثلما حدث فى أورشليم عندما كانت هناك مناورات اجتمعت الكنيسة وقال الرسل "قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ" (أع 15: 28), فمن ترى سيكون أكثر حكمة من الآباء الرسل أنفسهم؟! ولكن اقتضى الأمر أن يعقدوا مجمعًا. أحيانًا إن احتاج الإنسان أن يسمع صوت الله؛ يحاول أن يسمعه من خلال الجماعة التى حوله, إلا إذا كان صوت الله واضحًا فلا داعٍ لأن يضيع الشخص وقته ويحاول أن يسمعه من خلال الناس, لكن إذا لم يكن واضحًا فلا يمنع أن نسمعه من خلال المجموعة. سأعطيكم مثلاً: أحيانًا تُعرض علىَّ بعض مشاكل رعوية من إيبارشيتى أثناء اجتماع الكهنة, فإن كان الأمر واضحًا؛ آخذ قرارًا, أما إن كان القرار محيرًا؛ فأقول للآباء الكهنة: "ما رأيكم أنا أمامى ثلاثة حلول لهذه المشكلة, كذا أو كذا أو كذا, وأنا متحير ما الحل الذى أختاره.." فأجمع الآراء وأرى كم عدد الذين يوافقون على كل حل ورأى الأغلبية يعطينى مؤشرًا؛ لأننى متحير ولا أقدر أن أحدد.. مع أنه من المفترض أنهم هم الذين يسمعون منى المشورة, لكن ماذا يمنع أن أحاول أن أسمع صوت الله من خلالهم هم!! هذه هى فكرة الـ counciliarity أى مجمعية الكنيسة -وليست جامعية الكنيسة (أن يكون للكنيسة إيمان واحد فى العالم كله)- أى أننى أؤمن أن الروح القدس من الممكن أن يتكلم من خلال الجماعة (المحفل). لذلك نحن نصلى كثيرًا فى الكنيسة لأجل الاجتماعات {اذكر يا رب اجتماعاتنا, باركها} من ضمن المعانى المتضمنة فى هذه الصلوة أننا عندما نجتمع قُد يا رب هذا الاجتماع وأرشدنا بصوتك بحيث أن يوصلنا لنتيجة إيجابية تكون مفيدة للكنيسة ولأنفسنا.

الرجل ذو الرأيين

لماذا يقول القديس يعقوب الرسول "فَلاَ يَظُنَّ ذَلِكَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ. رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِى جَمِيعِ طُرُقِهِ" (يع 1: 7 ,8). بينما يقول القديس بولس الرسول "مُتَحَيِّرِينَ، لَكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ" (2كو4: 8). يقصد بـ "ذو رأيين" أن قلبه منقسم بين محبة الله ومحبة العالم, ولكن هذا لا يعنى مطلقًا أن من كان له رأيين فى أى موضوع أنه إنسان سيئ, فقد قال هذه الآية عندما كان يتكلم عن أن من يريد اقتناء الحكمة فليطلب من الله, أى أنه متحير وأمامه اختيار بين أمرين؛ فيحتاج لإرشاد من الله. كيف يقول بعدها إن من هو ذو رأيين متقلقل فى جميع طرقه!! يقصد بالرأيين, هدفين -وليس فكرتين- أى له حب للعالم وحب لله وهو متقلقل بينهما. فهذا لا ينال شيئًا من الله الذى يريد أن يرشده بينما هو لا يسمع لصوته ويزوغ قلبه بعيدًا عنه. كلما يحاول الله أن يرشده يجده لا يسمع له بل ينحاز إلى شهوات قلبه أو ميوله الشخصية... هذا هو الذى يطلق عليه ذو رأيين.. منقسم داخليًا بين محبة الله ومحبة العالم. أما كون الشخص متحيرًا بين اختيارين فى موضوع لا يعرف أيهما يختار, فهذا أمر طبيعى وغير خاطئ. أما مَن قد أرشده الله وعرَّفه صوته وأخذ ردًا منه بطريقة واضحة فلماذا بعدها يغير رأيه؟.. هذا هو المتقلقل فى طرقه. أى من الممكن أن "ذو رأيين" تعنى الذى يغير ما قد أرشده إليه الله بصوت واضح جدًا, وعزم على تنفيذه, إلى جانب أنها تعنى المتقلقل بين حب الله والعالم.

فلنمسك به

لذلك ينصحنا الآباء القديسون قائلين: إذا احتار أحد فى موضوع يصلى ثلاث دفعات متساوية (ثلاثة قداسات أو ثلاثة أيام, أو ثلاث صلوات من الأجبية أو ثلاث مرات الصلاة الربانية إن لم يكن هناك وقت على الإطلاق...) والاختيار الذى يرتاح له ويشعر بسلام داخلى بعد الصلوة الثالثة يكون هو صوت ربنا, ومهما حدث لا يغيره؛ لأنه عندما يسمع صوت الله سوف يشوش الشيطان على الإرسال, فبمجرد أن يأخذ من الله أمرًا فليمسك به.

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.